الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

قرش	
٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٥٤ — ٢٥ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٥ إبريل سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

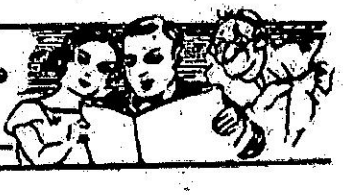

فهرس العـــدد

صفحة			
٣٣٨	انتقـــام	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ محمود الخفيف ...
٣٤٩	صندوق النذور	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٥٦	المارد الذى يحب نفسه ...	للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد	بقلم الأستاذ فخرى شهاب السعيدى
٣٥٩	تعب القلب	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
٣٧٠	عذرية	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ عبد الغنى على حسين
٣٧٦	حاجى بابا أصفهانى	للكاتب الانجليزى « جيمز موير »	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

من صور الريف

انتقام

أقصوصة مصرية

للأستاذ محمود الخفيف

جلس أمام داره وقد غربت الشمس وأخذت تتلاقى فى سماء القرية ظلال المساء ، وتشيع فى زرقة الأفق حمرة الشفق ، كما أخذت تنسم أنفاس الليل فتستروحها الأنفس الضائقة التى كاد يزهقها حر النهار ...

ودار الشيخ عثمان بوجهه يستقبل النسمات الوانية التى كانت تنساب إليه متقطعة من ذلك الفضاء الذى يمتد أمام بصره من موضعه إلى حيث تنبسط الحقول البعيدة ، وكان ذلك القروى الشيخ يفتح صدره لتلك النسمات وينشق منها ملء رئتيه ، وكان يبدو من تربد وجهه وقلقه وما يختلج فى عينيه الذابلتين أنه يلتمس فيها فضلاً عن طراوتها روحاً لنفسه من همومه التى بات يؤوده حملها

كان الشيخ عثمان يدلف للستين ، ولكنه كان يبدو مما يثقل فؤاده من هم كأنه أربى على الثمانين ! فقد اخترم ذلك الهم جسده أكثر مما اخترمته السنون ، وتزايدت فى وجهه التجاعيد حتى ليعجب الناظر إلى ذلك الوجه كيف كان خلوا منها فى يوم ما !

ودنت منه امرأته فسمعته يتنهد تنهداً عميقاً ، ويئن أنيناً لا يكاد يطلقه حتى يكتمه مستسلماً تارة ، رمياً صائقاً بالحياة تارة أخرى ؛ ولما ألفاها إلى جانبه تظاهر أنه إنما يشكو الحر

ونظرت إليه نظرة صارمة فيها الزجر والاستخفاف والغضب ، وفيها كذلك التهديد بأنها لم تعد تطيق منه هذه الحال التى جعلت عيشتهما نكداً على نكد ؛ وفهم الرجل معانى نظرتها فأطرق يخشى أن ينطق فتزيده كلماتها ضيقاً على ما به من ضيق

وكانت امرأته فى الخامسة والأربعين من عمرها لا تزال تحتفظ بقسط كبير من جمالها السابق ، فما يزال فى وجهها بقية من ملاحته وصباحته ، وما زال يحمل جسدها نصيباً من سالف نعومته وطراوته ، وعيناها الواسعتان اللامعتان ما يزال يختلج فيهما قبس من ذلك الإغراء ، ثم من ذلك السلطان الذى طالما تحكمت به فى فتيان القرية أيام الشباب والحب ، ذلك السلطان الذى أذعن له عثمان وبرهن على إذعانه بما أنفق فى سبيله من مال حصل عليه ثمناً لفدان من أجود أرضه باعه فى غير تردد ولا إبطاء

وانتهرت زوجها قائلة :

— فيم هذا الغم كله يا رجل ؟ دائماً تجلب لنا النكد من غير سبب ... ماذا جرى ؟ فى هذه السن تسمع كلام الكاذبين ؟

— لا شىء ... لا شىء ... الحر شديد ... أنا أشكو الحر ... أنا تعبان

ووصلت فى تلك الساعة إلى الدار ابنتهما نبوية تسحب البقرة والجاموسة ، فرفع إليها أبوها بصره وفى عينيه مثل ما يكون فى عين نمر غاضب يكاد يتميز من غضبه ، ولكنه عاد فأطرق مسرعاً خشية أن تقع عليه عينا امرأته ، وإنه ليحاول أن يخفى ما تركه فى جسده مرأى ابنته من رعشة بلغت حد الانتفاض

ودخلت نبوية فعلفت الماشية ، وألقت بعض الماء فى أوانى الطير لتجدها ملأى إذا أصبح الصبح، ثم دهبت لتهئ الطعام لأخويها فقد عادا من الحقل وجلسا ينتظران بالباب

* * *

غص مسجد القرية قبيل العشاء بأهلها من كل ناحية ، وما حان موعد الصلاة حتى كان الناس فى ذلك المسجد الكبير صفوفاً خلف صفوف من المنبر إلى البابين الكبيرين ، وقد نهضوا على تكبير الإمام يقيم الصلاة فى صوت رنان يسمع واضحاً فى أركان المسجد كأنما يحمله مكبر صوتي، وركع الناس وسجدوا ثم سلموا وخرجوا من صلاتهم يريدون دورهم إلا الشيخ عثمان فقد سار مسرعاً نحو المحراب حتى جاء الإمام فدنا منه وسلم ثم تناول يده فلثمها على كبره وسأله : « يا سيدنا الشيخ كيف نتبين ؟ سمعت فى الصلاة ما أفهم منه أنه يجب علينا أن نتبين إن جاءنا ... »

وأجاب الإمام « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أى انظروا فى هذا النبأ أهو نبأ صحيح أم كاذب »

— ولكن كيف أتبين ؟ أخبرني رجل بشيء لم يره غيره فكيف تكون البينة ؟

— وهذا الرجل هل تثق به ؟

— نعم إنما هذا شيء لا يصدق وإن كان ليأكل الهم بعده قلبي

قالها الرجل والدموع تنحدر من محجريه فتجرى فى أخاديد وجهه ، وكان فى ذلك الوجه لوعة وجزع لم يتمالك الإمام لها دمعة فتندت عيناه ولكنه ابتدر الرجل قائلاً :

« على أى حال لست أفهم ذلك الشيء الذى تكتمه عنى ولكنك تقول إنك تثق بذلك الرجل ، فإن كان ما جاءك به لا يصدق فاطلب إليه أن يحلف يمين الله »

ومضى الشيخ عثمان منصرفاً إلى داره وكأنما خفف ما أشار به عليه الإمام بعض آلامه ، فهو فى سيره خفيف الخطى ، لا يتوكأ كثيراً على عصاه كما كان يفعل فى ذهابه إلى المسجد أو كما كان يفعل منذ نمى إليه ما كدره وأحزنه

* * *

أسفر الصبح وأفاق الناس من نومهم ولما يبد وجه الشمس ، وعاد الشيخ عثمان من المسجد ، ثما كاد يصل إلى عتبة داره حتى كانت ابنته خلفه قد عادت فى سرب من صاحباتها يحملن من الترعة جرارهن ويسرن بها خفيفات فى وجوههن بشر ونورمن بشر الصباح ونوره، وفى وجهها دونهن كدرةوشحوب لم تقو على إخفائهما

وأسند أبوها عصاه إلى جدار الدار ، ومد يده تحت إبطه فأخرج شيئاً ملفقاً بورق ؛ وفض الورق فتبينت بنته مصحفاً صغير الحجم عرفته لأنه شبيه بمصحف أخيها مصطفى الذى طالما شدد عليها ألا تمسه إذا هى فتحت صندوقه ؛ ولقد دق قلب الفتاة دقاً عنيفاً حتى لقد سمعت أمها تلك الدقات وهى تعاونها على وضع جرتها فوق المصطبة ، ذلك أنها ظنت أن أباها ما جاء بهذا المصحف إلا لتقسم هى به .

ولكن الرجل كان يدور بعينه بين الفينة والفينة نحو مدخل حارة من الحارات القريبة ينتظر مقدم شخص يريده، ونظر بعد هنيهة نظرة تمشت على أثرها صفرة فى وجهه المسنون المتغضن ، فها هو ذا حسن يسير نحوه .

— السلام عليكم ياعم الشيخ عثمان ، ما هذا ؟ هل نويت أن تصبح فقيها ؟

— عليكم السلام . اجلس ياحسن أنا عاوزك . لا ، قم بنا إلى داخل الدار .

ودخل حسن الدار وراءه ، ونظر الرجل فلم يجد أحداً قربه وأنصت فسمع صوت امرأته فى الحظيرة فأدرك أنها وابنتها مشغولتان فى حلب الماشية فعول على انتهاز الفرصة ، وأخذ يد حسن قائلا :

« هات يدك ، ضعها على هذا المصحف ، قل أحلف بكتاب الله ... »

وجذب حسن يده متعجباً وقاطعه قائلا : « فيم هذا ؟ ماذا جرى ياعم عثمان ؟ »

— احلف على المصحف أن ما قلته لى بخصوص أحمد والبنت صحيح ؟

— أحلف أنها تحبه وتتودد إليه وأنه يتودد إليها ويعطيها أشياء يشتريها لها من ماله .

— إذن أنت الآن يابنى تغير ما سبق أن قلته . يابنى هذا حرام لا يرضى الله . تتهم بنتاً فى عرضها ؟ حرام عليك، حرام على كل من له ولاية ... أهكذا يابنى تحرمنى النوم وتسخر من ذقنى ؟ دا أنا أكبر من أبيك ، منك لله .

— ما هذا ؟ قلت لك أحلف أنه ...

— هل تحلف على ما سبق أن ذكرته ؟

— لا أحلف على شىء نسيته .

— لا لا ياحسن ، الله يجازيك بذنبك ، يابنى كفى ما جرى ، من اليوم لا تدخل دارى وكل واحد منه لله .

— أنا ياعم عثمان أدخل دارك من اليوم أو من البارحة ؟ أنا أدخل دارك منذ سنين حصل منى إيه ؟

— كفى كفى يا بنى .. أهنتنى فى شرفى واتهمتنى فى عرضى . . . الحمد الله أنك كاذب وإلا فهو العالم ماذا كان يحدث لها أولى .

* * *

لاحظ الناس أن الشيخ عثماناً يغلق باب داره عليه بعد الغروب ، وأنه هو وابنيه يستروحون نسيم المساء على السطح بدل مدخل الدار ، وعجب الجيران أن أصبحوا يرون حسناً يدير وجهه مغضباً كلما مرّ بتلك الدار ، وأنه لا يلقى التحية على الشيخ عثمان إذا صادفه فى الطريق . وكذلك عجب الجيران أنهم لم يعودوا يرون أحمد يجلس لدى الباب مع مصطفى وعبد الصمد وقلما كان يتخلف ليلة فى الصيف عن ذلك ...

وظل هذا شأن الشيخ عثمان وأهل داره إلى أن كانت ليلة قمراء يهب فيها النسيم غير وان ولا متقطع ، فكأنما جذب المكان لدى مدخل الدار الشيخ عثمان جذباً حينما وصل من المسجد فجلس وفى نفسه ألا يطيل ، ولكنه لم يكد يجلس حتى مر به الشيخ مبروك فسلم وجلس ، وماهى إلا برهة حتى مر الشيخ عبد المطلب ، فجلس ثم مر من بعدهما الشيخ عمر واثنان غيره من الجيران ممن هم دون هؤلاء سناً وهما الليثى وعبد الفتاح فجلسوا جميعاً حول الشيخ عثمان وسأله الشيخ مبروك قائلا :

ياشيخ عثمان إيه حكاية الخلاف بينك وبين حسن أبو سالم ؟

— لا ، مسألة بسيطة، لا خلاف ولا غيره

وتجهم وجه الشيخ عثمان وأحست نفسه الضيق فلا بد أن الجيران قد نمى إليهم سبب القطيعة بينه وبين حسن ، ولعل فيهم من يفهم الأمر على غير

وجهه كما هي العادة في كل الإشاعات ، أو لعل فيهم من يصدق ما افتراه حسن على أحمد من حديث ، وإلا فما بالهم يعيرون الأمر هذا الاهتمام فيسألوا ؟

وراح الشيخ عثمان يتنهد تنهداً عميقاً ويعقب كل مرة من تنهده بقوله : « يا ألله يا لطيف ... » وما درى أنه بذلك إنما يزيد هؤلاء المتسائلين شكاً ويستثير فضولهم . ولكنه لم يكن يستطيع كتمان همه

* * *

تنكر الفتيان أحدهما للآخر يريد أن يثأر منه لنفسه ؛ أما حسن فقد كان يضمر السوء لأحمد منذ عرفا نبوية ، ذلك أنه كان يعتقد أنه يغريها بألفاظه المعسولة ووعوده الخلابة ، ولكنه كان يداريه حتى لا يصل إلى الناس أمر خلافهما ؛ وأما أحمد فقد كان يمقت حسناً لأنه يخشى أن يأخذ الفتاة من أبويها قسراً بما كان له من بطش لا يجهله أحد في القرية

لم يكن من إعلان الخصام بد بعد أن طرد حسن من بيت الشيخ عثمان فليس في رأيه من أوغر صدر هذا الشيخ حنقاً عليه إلا أحمد . وبات من يعلم نباها مشفقين أن ينال أحمد من بطش خصمه ما لا قبل له به . ومنذا الذي يستطيع أن يفلت من هذا الفتى إذا اعتزم الكيد والانتقام ؟ ليس في المتفتين في القرية والمتمرين من يدانيه في إشعال الحرائق وتسميم الماشية ، وقيادة الأشرار إلى إتلاف الزرع . وليس في المجرمين من يفوقه في سعة الحيلة وإحكام الجريمة والقدرة على الإفلات من سطوة القانون

على أن أحمد على الرغم من ذلك كان مطمئناً بعض الاطمئنان ، ذلك أن وشائج النسب قد ربطت بينه وبين كثير من أسر القرية على نحو غريب ، وفي عصبة حسن نفسه بعض ذوي قرباه ولا يستطيع هذا أن يهمل جانب هؤلاء أو يفرط في صحبتهم .

ولقد خشي الناس كذلك على الشيخ عثمان أن يمسه شيء من غضب حسن ؛ ولكن الشيخ عثمان نفسه كان لا يعبأ بذلك . وكثيراً ما كان يقول لمن يحاوره في هذا الأمر إن كل شيء عنده يهون في سبيل محافظته على شرفه ، وإن الأمر كله بيد الله ؛ ثم يتمتم في يقين قائلاً : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »

ولقد أحسن الشيخ عثمان صنعاً بأن أشار على أحمد كذلك ألا يدخل داره ؛ وإن كانت امرأته قد خالفته في ذلك وجادلته فيه جدالا شديداً ، لأنها كانت تحب أن يكون هذا الشاب زوجاً لابنتها وإنها لتعلم ما بينهما ... ولكن الرجل أصر ولم يعبأ هذه المرة بإرادة امرأته مهما يترتب على ذلك العصيان وكأنه أراد أن يثبت لها سلطانه ولو مرة ...

* * *

ما كانت نبوية لتقدر أن تتسلى عن صاحبها ، وكذلك ما كان يقدر أن يتسلى هو عنها ، وهيهات لقلبين يربط بينهما الحب أن يفرق بينهما إلا الموت ! لذلك كانا يتلمسان السبل للقاء وهما أشد ما يكونان خوفاً وحذراً أن تراهما عين فيصل خبرهما إلى أبيها أو إلى حسن فتكون الكارثة

كانت نبوية في العشرين من عمرها كالزهرة في ريعان الربيع اكتمل نماؤها وتمت روعتها وتوافى لها من معاني السحر والفتنة ما تتمنى لو كان لمن بعضه الكثيرات من فتيات القرية ؛ ترى الأعين في وجهها الصبوح ملامح أمها وترى في عينيها ذلك الإغراء الذي أخذ يتلاشى في عين الأم ، والذي يأمر ويتحكم اليوم وينبعث من مقلتي الفتاة كما تنبعث السهام

ولقد نشأت نبوية مدللة يحنو عليها أبوها كأنه لم يرزق من البنات والبنين غيرها ، وتوليها أمها حنان الأم ومحبة الأم كأعظم ما يكون الحنان والحب، ثم ترى فيها صورة منها فيحملها شعورها أن مرد هذا الجمال إلى جمالها هى على العجب والزهو، وتستشعر نفسها الغبطة والسرور أنها بابنتها تحيا اليوم فى ماضيها؛ فلئن كان لها أمس السلطان والدلال بما وهبت من جمال فإن لها اليوم الفخر والزهو بما أنجب ذلك الجمال

وما كانت تختلف نبوية عن أمها فى اعتدال قوامها ودقة خصرها وبضاضة جسمها ، ولكنها كانت تختلف عنها فى لون بشرتها فكانت شديدة البياض إلى حد غير مألوف فى قرى مصر ، يتجلى لك ذلك البياض على طبيعته إذا شمرت عن ساعديها أو إذا كشفت عن ساقيها ، أما وجهها ونحرها فقد طبعت شمس الريف عليهما لون الورد الأحمر حتى لتحسب أن عليهما طلاء وما مسهما الطلاء يوماً ... وإذا انحسر منديلها إلى أعلى قليلاً عن جبينها المستدير السمح ، رأيت فى موضعه من البياض فوق هذه الحمرة ما يشبه الغرة تسيل فوق جبين مهرة جميلة ... أما ضفائرها الذهبية فما يدرك مبلغ سحرها إلا تلك القلوب التى طالما هفت إليها وأحست كأنما علقت بها: قلوب الشباب فى أنحاء القرية ، وقلوب الشابات التى كانت تحس لديها مع الإعجاب معانى الحسد والغيرة والتمنى

* * *

تصرمت الأيام وانقضى الصيف ولم يعد يرى أهل القرية حسناً ولا أحمد يساعدان الشيخ عثمان فى حقله كما كان يفعل كلاهما من قبل ، كذلك لم يعد يراهما الناس عند داره كما تعودوا أن يروهما ... وتجنب كل من الفتيين مجلس الآخر وكره لقاءه حتى ما تقع عين أحدهما على الآخر إلا وفيها من معانى البغض وأمارات الشر ما ينذر بالويل والخطر

وانطوت الأيام على هذا الحال ونعم الشيخ عثمان زمناً بهدوء البال وحلت فى وجهه محل القطوب والعبوس بسمة الرضا والدعة والاطمئنان ، فلقد استراح من بواعث الخوف ودواعى الهم وأسباب القيل والقال

وظل احمد يتلمس السبل للقاء فتاته دون أن يعلم بذلك أحد إلا أمها واثنتين من صاحباتها ، إلى أن كان ذات صباح من أصباح (هاتور) وقد بعث الربيع فى إقباله الحياة فى كل ناحية من نواحى الحقول ، وأوحت إلى النفوس براعمه الوليدة معانى الأمل والبعث والقوة ، وحدثت أزهاره قلوب الفتيان والصبايا أحاديث الهوى والسحر والجمال ، وألهمت شوادى الغصون من طيره المحبين سر المرح والخفة والانتشاء ، وذكرتهم العشاش المأهولة أن هذا هو زمان الوصل والمناجاة والألفة والبناء

فى هذا الصباح خرجت نبوية تسبق الطير قاصدة إلى الترعة لتملأ جرتها وسارت وحدها وإن نفسها لتفيض بمعانى الحبور والجذل والنشوة كأن هامساً يهمس فى سمعها بأحاديث المنى ويبشرها بما طال انتظارها إياه من نعيم وسكن ؛ وكانت ترى فى هذه البكرة أروع ما تكون جمالاً وفتنة، وأعذب ما تبدو رشاقة وملاحة ودلالاً ، وقد اتسق جمالها فى جمال الكون من حولها حتى ما يعرف على وجه التحديد أسرت إليها من الربيع الفتنة والحسن ، أم ألقت هى محاسنها ومفاتنها فى محاسن الربيع ومفاتنه فأضافها إلى معانيه وزاد بها فى مسراته ومباهجه ؟

وصلت إلى الترعة وكانت غير بعيدة فوقفت إلى جانب شجرة من أشجار التوت قد رد عليها الربيع رداءها جديداً رائع الخضرة فأمسكت جذع الشجرة بيسراها ووضعت رجلها اليمنى على حجر فى الماء قرب الشاطئ ثم أدلت جرتها حتى امتلأت وهى تنصت إلى ضحكات الماء فى فوهتها ثم جذبتها بكلتا يديها فأخرجتها وأسندتها إلى الشجرة وأصلحت حويتها فوق رأسها ودارت بعينيها تبحث عن فتاة قادمة أو غلام أو رجل يعينها على حملها . ولكن عينيها الجميلتين لم تقعا إلا على حقول الفول الداكنة وحقول القمح التى أخذت تمشى صفرة النضج فى خضرتها ، فجلست على حافة الترعة تنتظر ، ثم بدا لها فكشفت عن ساقيها وأخذت تلقى عليهما الماء وتغسل عقبيها كأنما تأبى أن يعلق التراب بهذا المرمر الناصع الذى تدل به وتزهى

ورفعت عينيها ولكنها لم تكد تلتفت حتى التقت تانك العينان بعينى أحمد وألفت نفسها بين زراعيه القويتين فمانعت وغالبت، ولكن أنى لها أن تدفع هذا الهيام أو أن تكبح هذا الشوق ؟ وراح هو كالمجنون يلقى على ثغرها قبلاً مختلفة الطول ، فعشرة منقطعة فى زمن واحدة، وواحدة متصلة فى زمن عشرين !. وذهلت عن نفسها برهة ثم أفاقت فعادت تدفعه وقد دب الخوف إلى قلبها أن تراها عين ، ونهض على رغمه ونهضت فتناولت حويتها وأعانها على حمل جرتها وجرى إلى حيث كان بين شجيرات الفول ، وسارت هى نحو القرية ينتفض جسدها انتفاضاً . وتتنازع محياها الأبلج صفرة المفاجأة وحمرة النشوة ، وتختلج على شفتيها بسمات الرضا حيناً وسمات الخوف والقلق أحياناً

خالطت لفحات الصيف شيئاً فشيئاً أنفاس الربيع الرخية ، ونضجت سنابل القمح وراحت عيدانها الذهبية توحى بمنظرها وخشخشتها إلى المزارعين أغانى الحصاد ورنين المناجل وسحر العشايا والبكر وروعة القمر فى تلك الليالى التى تشيع البهجة فى النفوس وتحيي الزهاء فى القلوب ، وتمنى كثيراً من الشبان والشواب بتحقيق الآمال المنشودة وحلول الأيام الموعودة

وعاد مجلس الشيخ عثمان سيرته الأولى أمام داره عقب صلاة العشاء كل ليلة حافلا بأهل الناحية من الشيوخ والشباب . أما الشيوخ فقد أحبوا عشرته وأولعوا بحديثه ؛ وأما الشباب فقد توثقت بينهم وبين ولديه أواصر المودة . ولكن السر الحقيقى فى اجتماعهم حول داره لا يكاد يخفى على أحد ، فلقد كان كل من هؤلاء الشبان يمنى نفسه أن تكون له نبوية ، ولولا ما كانوا يخشونه من بطش حسن لراحوا جميعاً يتنافسون فى طلب يدها

وطال الحديث ذات ليلة وتشعب ، فمن ذكريات قديمة يستعرضها هؤلاء الشيوخ عن حياتهم فى القرية، إلى الكلام فيما وعوه عن آبائهم من أحاديث « كالعملية » فى عهد سعيد و « هوجة » عرابى ومنهم من شهدها ، إلى غير ذلك مما طوته الأيام ؛ وكان الشبان ينصتون إلى حديث الشيوخ فى اهتمام ، فإذا تكلم أحد الشيوخ ناعياً على شباب اليوم أحوالهم تهامس الشباب ساخرين أو تغامزوا بالأحداق ، وقد منعهم احترامهم لهؤلاء الشيوخ أن يردوا عليهم بما يخالف آراءهم

وانفض السامر والشيخ عثمان يرد على المسلمين تحية الإسلام ودخل ابناه الدار ، وبينما كان هو يهم

بالدخول استوقفه شبح يقرب منه فنظر فاذا هو حسن، فاربد وجه الشيخ عثمان وأخذته ربكة اهتزت لها أوصاله ، وأخرج حسن مصحفاً من جيبه فناوله إياه ثم وضع يده عليه وراح يقسم على ما رآه بعينيه وهو مختبئ بين شجيرات الفول قائلا إنه إنما سكت هذه المدة لأنه كان يجتهد أن يتحرى مبلغ الصحة فى إشاعة علمها ولكنه لا يستطيع أن ينطق بفحواها . ولم يجب الشيخ عثمان بكلمة ودخل داره يجر رجليه جراً وإنه ليكاد يتهدم من الضعف . ولم يقرب النوم من جفنيه طول ليله ولم تفارقه الوساوس لحظة ؛ وإنه ليوشك مما بلغ به من الضيق أن يلفظ النفس الأخير كلما صورت له هواجسه ما عسى أن تكون فحوى تلك الإشاعة التى أشار حسن إليها

وعجب الناس أن رأوا الشيخ عثمان فى اليوم التالى يكاد يسقط من الإعياء، وها لهم أن يذبل وجهه وتنطفئ عيناه ، وقد كان بينهم بالأمس موفور المرح بادى العافية ، وراح هو يوهم السائل أنه إنما يشكو مرضا فى صدره هو سبب ما هو فيه .

وصبر حتى جنه الليل فذهب كعادته إلى المسجد. ولما صلى العشاء ذهب إلى حيث كان يجلس الإمام فدنا منه وسلم ثم سأله هل يكون جزاء القاتل جهنم مهما كانت دوافع ارتكاب الجريمة ؟ وكيف يساق إلى جهنم من يقتل حفاظاً عن نفسه أو دفاعاً عن عرضه؟ وأجابه الشيخ إجابات زادته حيرة على حيرته. فانصرف وفى نفسه شك من كل ما يقول به ذلك الإمام . . .

فعاد من المسجد فشرب بعض الماء وعافت نفسه الطعام فآوى إلى مضجعه مبكراً شاكياً إلى زوجه ما يحسه من مرض ، وهى تحاول أن تسرى عنه حتى نام أو تظاهر أنه نام .

وتزاحمت فى رأسه الوساوس والأوهام حتى صار مخبولا أو كالمجنون ، وكان يطلب إلى الله ضارعاً أن يريحه بالموت أو أن يصيب ابنته بكارثة من غرق أو حريق أو علة تودى بحياتها ... ثم تزعجه تلك الأفكار فينتفض جسده ويتصبب عرقه ، وتكاد تزهق روحه .

وأخذته سنة فرأى فيما يراه النائم أنه صعد فوق مشنقة والجلاد يوشك أن يضع الحبل فى عنقه ، وبنته على مقربة منه وهو يتوسل إليها أن تعفيه فلا تجيب؛ وظل على هذا الحال برهة، ثم تقدم الجلاد فهم به ليشنقه ، ولكنه أفاق قبل أن يموت على تلك الصورة !

وراح يسأل نفسه أهى مظلومة ؟ وإنه ليرجو الله أن تكون كذلك ، ويسأله أن يبين له الحقيقة ... ولكن الشك لا يلبث أن يستولى على نفسه فيحس كأن ناراً حامية تتمشى فى جسده كله حتى ليهب واقفاً ثم يهذى كأن به جنة .

ونامت الدار فلا تسمع فيها حركة إلا ما تأتيه الماشية فى حظيرتها من حركات وأصوات ، وكانت نبوية تنام وحدها على سطح الدار تتوسد حصيراً وتلتحف بملاءة خفيفة ، وكانت فى تلك الليلة تغط فى نوم هادئ ووجهها إلى السماء يقابل ملك الليل فيكون من وجهيهما قمران أحدهما حالم فى نعاسه ، والآخر حالم فى سهده

ونهض الشيخ عثمان فمشى فى فناء الدار كأنه شبح من أشباح الليل لا يسمع لوقع أقدامه أى صوت كأنه لا يطأ بهما الأرض ، ودخل حظيرة الماشية

فاخذ منها شيئاً ، ثم صعد على السلم إلى حيث تنام البنت ، وجلس إلى جانبها فى رفق ، وقد ارتعش جسمه من ريقه ، ثم مد يده المعروقة فوضعها على بطنها براح يتحسسها فى هوادة ، ووسوس له الشيطان أن فى بطن ابنته علوآ لا يكون فى بطن الأبكار ، فارتفع الدم إلى وجهه وهانت الدنيا فى نظره ثم عقد النية على تنفيذ ما اعتزم ، وواتته وقتئذ جرأة عجيبة حتى ما يفكر فى شىء ... وغشيت القمر فى تلك اللحظة سحابة فكأنما راح يتوارى من سوء ما يرى ، وتناول الشيخ عثمان الحبل الذى أحضره معه وقد أعده على شكل مخنقة ليشد طرفيها حول عنق ابنته ورفع بيسراه رأسها من فوق الوسادة . وبينما هو يتأهب لوضع عنقها فى المخنقة أفاقت مذعورة وقد خرج القمر من خلف السحابة بغتة فوقعت عيناها على وجه أبيها وعلى الحبل فى يده فصرخت صرخة دوت فى السطح وشاعت فى فناء الدار ، ولطمها أبوها لطمة قوية على وجهها وقد سقط الحبل من يده ثم أمسك عنقها وشد عليه بكلتا يديه وصاح بها : «يا فاجرة»

وهرعت الأم إلى السطح وقد ألقى فى روعها ما حدث وأقبلت على زوجها فدفعته فى عنف فألقته على ظهره وراحت تكيل له الشتائم ، ثم أخذت بنتها بين ذراعيها وراحت تهدهدها وهى من فرط ذعرها فى غيبوبة شديدة يعلو صدرها ويهبط ، ويدق قلبها دقاً متوالياً ينذر بالخطر حتى لقد كادت تصرخ الأم لولا أن خشيت أن توقظ الجيران ...

ولما ذهب عن ابنتها الروع وضعت رأسها على الوسادة وألقت على جسدها بملاءتها ، ثم جذبت بعلها من يده فطاوعها ومشت تجره حتى السلم فدفعته دفعة كادت تلقيه على وجهه وهى تقول له : « انزل يا رجل يعوض علينا ربنا فى عقلك . خلاص بقيت زى اللعبة فى أيدى العيال . انزل . الله ينتقم من اللى كان السبب »

وانهمرت دموعها ساخنة على خديها فتمسحها بكفيها ، وجرؤ زوجها فالتفت إليها قائلاً : « الله ينتقم منك أنت ومن بنتك ... يا رب عجل بالموت ... ما ذنبى يا ربي حتى أصاب بهذه الفضيحة التى تعلق بشيبتى ... الله يصيبك بالعجز والعمى يا نبوية يا بنتى ... أنا برىء منك إلى يوم الدين »

ولما نزلا إلى فناء الدار أخذت الأم تنتحب وزوجها صامت لا يجيب ؛ ثم قالت وهى تشهق من فرط الدمع : «سآخذ ابنتى و نترك لك الدار لتستريح»

ووقعت هذه الكلمات فى نفس ذلك الشيخ وقعاً أليماً ، فهو لا يطيق أن تبعد زوجه عن الدار ساعة ، ولمحت هى أثر كلماتها فى نفسه فاستطردت : « حكاية عيال من أولها إلى آخرها ... وإذا كنت تريد أن تطمئن على شرف ابنتك ففى الصباح تقسم لك على المصحف وأمرنا لله »

— أى نعم أريد أن تقسم على كتاب الله أنها ما فرطت فى عرضها

— يا رجل ، استغفر الله ! هل يصح الكلام ده على ابنتك ؟

— أقسم لى حسن على المصحف أنه ...

— أعرف هذا كله ... وما قيمة يمين واحد فاجر زى ده ... يا راجل افهم ، واجد ما يخشى من ربنا يقوم يحلف من المصحف ؟

— وهل أنت تنكرين أن ابنتك تحب أحمد وأحمد يحبها ؟

— وإيه يعنى ... دا شىء يحصل بين كل شابة وشاب

— عال قوى! شىء يحصل بين كل شابة وشاب؟

— اسم الله على عقلك ، هوه ما حصلشى بينى وبينك ؟ افتكر يا رجل اللى عملته عاشان تأخذنى. وهو أنا يومها فرطت لك فى عرضى ؟ يا راجل حرام عليك دانت من اللى بيصلوا الفجر ، والبنت على كل حال تطلع لأمها

ولاحظت المرأة شيئاً من الاطمئنان يخالط نفس الرجل لهذه العبارة ، فأقبلت عليه وأخذت بيده وقالت : « قم ياشيخ بكره تستريح فستحلف لك ابنتك على كلام الله »

وذهب الرجل إلى فراشه وصعدت الأم إلى السطح فوجدت ابنتها ما تزال تبكى، فما زالت بها حتى اطمأنت ثم رقدت إلى جوارها حتى أصبح الصبح

* * *

وثق الشيخ عثمان من براءة ابنته فصحت عزيمته على أثر ذلك أن يزوج نبوية من أحمد فى أقرب فرصة ولتكن فى موسم القمح هذا . وسرعان ماذاع هـذا النبأ فعرفه جميع أهل القرية ... وجزع من كانوا يمنون أنفسهم بنيل يدها من الشبان، وأشفق كثيرون على أحمد من كيد حسن حتى لقد أخذ بعضهم يؤكد أن هذا الزواج لن يتم وفى جسد حسن عرق ينبض . ونصح بعض من أشفقوا للشيخ عثمان أن يرجع عن هذا فرفض فى شدة ماعرفوا عنه مثلها من قبل، وعاد يتمتم بتلك الآية التى كان يتمثل بها أبداً « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »

وفرحت الفتاة فرحة جاءت مضاعفة بعد ما كانت فيه من بلاء وغم ، أما أحمد فقد أصبح من فرط ما سره هذا النبأ فى شبه ذهول يتقبل تهانى أقرانه فتقع كلماتهم على قلبه برداً وسلاماً، وكأنما هو يحبهم جميعاً حباً لم تستشعره نفسه من قبل ؛ وما كدر عليه صفوه ما تحدث به الناس عما عسى أن يفعل حسن، فلقد ملك الفرح عليه شعوره حتى صار لا يفكر إلا فيما هو مقبل عليه، ولكن حدث أن جرى بينه وبين سليمان أحد لداته حديث ذات يوم فاستطال ذلك عليه وآلمه حتى لم يطق أحمد صبراً فتهدده وتوعده؛ ولولا أن تدخل بعض الشبان فباعدوا بينهما لعظم شرهما وتفاقم أمرهما ...

أما حسن فقد تظاهر بعدم المبالاة لا يشير إلى هذا النبأ فى أحاديثه ولا يلتفت إلى أحاديث رفاقه عنه ، فإذا حدثه أحدهم عنه حمل محدثه فى دهاء على أن يصدق أنه لا يحفل به وأنه انصرف عن تلك الفتاة ولو أن له فيها رغبة ما وقف فى سبيله أحد .

وفى ذات ليلة روع أهل القرية بمنظر النار على بعد تجرى فى حقل من حقول القمح ، وقد صعد النسوة على أسطح الدور ينظرن ويتبين الجهة وكل تحسب النار فى حقلها أو حقل قريب لها ويعلو صراخها ، وجرى الفتيان والرجال نحو الحقول ولكن أنى لهم أن يدركوا شيئاً وقد كانت النار تجرى فى ذلك الهشيم فى سرعة هائلة مروعة ؟ وعاد الناس بعد قليل يعلنون أن النار لم تترك فى قمح سليمان عوداً واحداً ... ولم تنحصر الشبهة أول الأمر فى أحد فما كان يسمع على ألسنة الناس إلا قولهم : « ربنا يعوض عليه » أو قولهم : « ربنا يؤذى أولاد الحرام » . ووجد رجال الشرطة من معاينة الحقل عدداً من الكرات القماشية المحشوة بالبارود ونترات الصودا والكبريت، تلك الكرات التى اخترعها الفلاحون ليجاروا بها روح العصر فى التجديد ! وإنهم ليجعلون لها فتيلاً يغمس

فى الزيت ، ومتى مست النار ذلك الفتيل سرت فيه على مهل حتى تمس تلك المواد فتنبعث النار وتشب ، وفى تلك الآونة يكون ماقى الكرة فى هدفها قد بعد تمام البعد عن مكان ذلك الهدف ...

وسرعان ماجرى اسم احمد على ألسنة أهل القرية وأخذ الناس يتهامسون بالاتهام ، وما لبث سليمان أن اتهمه فى غير تردد ، وقام الشرطة بتفتيش داره فوجدوا فيها بعض الكرات وكان قماشها من نفس قماش تلك الكرات التى وجدت متناثرة قرب الحقل كما كان حشو هذه كحشو تلك لا تفترق عنها فى شىء

وتقدم بعض الشبان فشهدوا بما يثبت الجريمة على المسكين ولم يغن عنه إنكاره ودفاعه . . . وصدق الكثيرون من الناس أنه هو المجرم ، وإن كانوا ليعجبون لذلك أشد العجب فما عهدوا عليه شيئاً من هذا ، وما كان الشر من طبعه أبداً ... أما القليلون فقد كانوا يبتسمون لهذا ابتسامة الألم والسخرية ، وفى عيونهم أمارات الخبث التى تنطق بأنهم يعلمون كل شىء ولكنهم على عادة أهل القرى فى مثل تلك المواقف لا يستطيعون أن يفصحوا عن شىء وإلا لحقهم هم أيضاً مثل ما لحق هذا البائس من كيد وغدر ، وما أيسر أن تدس الكرات أو غير الكرات فى أية دار من الدور !

***

فرغ المحقق فى مركز الشرطة من تحقيقه ، ووضع الحديد فى يدى أحمد وسار مغلولا أمام شرطى على جواده يسوقه إلى عاصمة المديرية ، وكان الوقت بعد الظهيرة بساعة ، وقد حبس القيظ الناس فى دورهم فلا يرى أحد فى دروب القرية كأنما كان الوقت منتصف الليل ؛ وأمر الشرطى أهل المتهم أن يقفوا فلا يتبعوه ، وتوسل إليهم أحمد أن يفعلوا ، وكانت أمه وأختاه يبكين بكاء يفتت الأكباد كأنما كان يساق فتاهن إلى الموت، وهذا هو آخر عهدهن به ولم ينقطع دعاؤهن أن ينتقم الله ممن ظلمه .

واقترب أحمد من دار الشيخ عثمان فدق قلبه ووهى جلده ومشى يجر رجليه ، ومر بالدار فلم يلتفت إليها كأنه لا يعرفها فلقد كره أن تقع عينه على نبوية وهو هكذا مغلول اليدين يساق على رغمه إلى حيث يساق المجرمون .

وسار أحمد يتبعه الشرطى على جواده فى الطريق المؤدية إلى الحقول ليسلكاها إلى طريق العاصمة ، وقد اشتدت حرارة الشمس حتى كانت لفحاتها فى الوجوه كأنها ألسنة من اللهب ! وكان أحمد مطرقاً فى مشيه يقاسى نارين : نار الشمس فى وجهه ، ونار الغيظ فى صدره ... ورفع عينه وقد اقترب من شجرة عند منعطف الطريق ، ولم يكد ينعطف حتى وجد نفسه أمام نبوية ! فافتر ثغره عن ابتسامة ما لبثت أن انطفأت فيما شاع فى وجهه من شحوب وكدرة؛ فلقد رأى فتاته تحاول حبس دموعها فلا تقوى فتجهش وتشهق وتئن أنة مكتومة نفذت إلى أعماق قلبه ، وحاولت الكلام فلم تنفرج شفتاها ، وحاول هو أن ينطق فاستعصى عليه الكلام كأنما انعقد لسانه . وأخذت الشرطى الشفقة فاغرورقت عيناه ودار بوجهه ليدع لهما حرية الكلام ولكنهما ظلا جامدين . ثم إن الفتاة تقدمت فدست فى جيب الفتى بعض دريهمات وألصقت صدرها بصدره فراح يغالب الحديد فى يديه على غير وعى منه ، والتفت نحو الشرطى فلما وجده لا يراه قبل فتاته بين عينيها ... وانطلق بعد ذلك فى سبيله ، ووقفت هى إلى جانب

الشجرة تشيعه بنظراتها فى جزع يتقاصر عن وصفه أى كلام

* * *

مضت أيام كان لا حديث لأهل القرية فيها إلا ذلك الحادث ، وبات الناس يرجون أن يقف الأمر عند هذا فلا ينال الشيخ عثمان من بطش ذلك الغادر الفاجر حسن ما يعجل به إلى القبر . ودخل أحمد السجن ليقضى فيه ستة أشهر طويلة ، وتلقت نبوية ذلك النبأ فى صمت كان فى الواقع صمت اليأس ، وظلت على صمتها هذا يتمشى السقم فى بدنها ويغشى الحزن وجهها فيلبس جمالها روعة على روعة ويترك على محياها طابع الشكوى الدائمة والضراعة

وحصد الناس قمحهم وامتلأت البيادر والأهراء وسعد من سعد من الفتيان والصبايا إلا نبوية فقد حيل بينها وبين ما اشتهت نفسها ، وحل محل الأمل فى قلبها الضراعة والمسكنة والمذلة . وجعل الشيخ عثمان يصبر نفسه وأصبح لا يختم صلاته إلا بطلب الانتقام من الله ، على أنه ما تسرب إلى قلبه خوف بعد ما حل بأحمد ، حتى لقد دهش الناس من بسالته وثباته على رأيه وإصراره على أن يزوج ابنته من صاحبها مهما حدث وهو فى تلك السن

ولم يمض شهر حتى وقع فى القرية حادث ألقاه أهلها بمزيج من الدهشة والرهبة والاعتبار ، وكان جانب العبرة فيه أقوى تلك الجوانب ، يخالط أنفس القرويين إزاءه شعور الراحة والغبطة والاطمئنان ، فبينما كان حسن فى طريقه إلى حقله ذات صباح رأى غلاماً يسحب دابتين ربط حبل إحداهما بحبل الأخرى فأسرعت الدابتان لأمرما وجذبتا الغلام فتقدم حسن لنجدته وأمسك بالحبل المتصل من وسطه واتجهت إحدى الدابتين إلى اليمين والأخرى إلى الشمال فكان من الحبل مخنقة دارت بعنقه ، والدابتان تمعنان فى الابتعاد إحداهما عن الأخرى وتجريان معاً إلى الأمام فى وقت واحد فتجران هذا الذى علق بينهما ... وما هى إلا لحظات حتى كان جثة هامدة وقد كسرت ذراعه عند مفصل الكتف !

وهكذا كانت المخنقة من نصيب هذا الفتى ، وقد كانت بسبب ما افترى ودس ستدور حول عنق آخر ضعيف هين لا يستحق إلا أن يدور حوله عقد العرس

الخفيف

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

ابى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

نسخه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة